تمثال وألواح فخارية من تيرقا

بقلم : ماريلين كيلي بوتشيلاتي
تعريب وتلخيص : بشير زهدي

منذ التنقيب في (تيرقا) عام ١٩٧٦ ، اكتشف عدد من التماثيل الفخارية والالواح . وتدظهر عدد من المطبوعات عن تيرقا وتنقيباتها. وحتى الآن ، تركزت التنقيبات على سطح يعود الى الالف الثالث ق.م حتى منتصف الالف الثاني ق.م . وفي بداية الالف الثالث ق.م اقيم سور المدينة ، عرضه نحو ٢٠ م . وفي داخل السور تماما في جهة الشمال الغربي اكتشفنا اربعة امتار من طبقة متعاقبة تعود الى منتصف الالف الثاني ق.م . حتى عهد بناء سور المدينة على الارض الحرة . وقد عثر على راس تمثال في هذا المكان يعود الى منتصف الالف الثالث ق.م . وكان قد عثر على عدد كبير من التماثيل المماثلة من الالف الثالث كقرينة في سورية (مثل : تل سلنكحية ، تل حديدي ، آصور). وفي ماري عثر على راس مماثل في معبد عشتار. وان هذه التماثيل من الالف الثالث ق . م ذات شعر وحلي ،وجعلت فيها الاذن بطريقة مماثلة. ومن المحتمل ان يكون الايحاء الى الاقراط مشاهدا ايضا .

وان القطع الباقية للمناقشة هنا اتت من جهة تنقيبات الالف الثاني ق.م . حيث كنا ننقب في مبنى عام من عصر ماري وقد وجدت **اللوحة الفخارية رقم ٢** في طبقة الاجر المتساقط فوق الردم تماما. وفي نفس هذه القرينة عثرنا على عدد من الرقم البابلية القديمة والاختام الاسطوانية . وفي نفس المبنى ايضا – المتصل بطريق بابلية قديمة – وجدت **اللوحة رقم ٤** تمثل عشتار . كما ان **اللوحة رقم ٥** – التي تمثل مشهدا طقسيا – وجدت على ارض متصلة بماوصفناه بمنشأة (كتبة) في هذاالمبنى في حين أن **اللوحة رقم ٣** عثر عليها في حفرة اسلامية ، في هذا المبنى ، تتضمن خليطا من فخار العصر الاسلامي وماري . أضف الى ذلك هذه اللوحة رقم ٣ .

ان وجود هذه اللوحات الفخارية الاربع يمكن أن يدلنا على طبيعة المبنى . ويتضح من حجم المبنى وترتيب غرفه اننا ننقب في (مبنى عام) . ولم تعطنا الرقم منذئذ دلالة اكثر دقة عن وظيفته . ومع ذلك فان واقع وجود (منشأة كتبة) فيه ، والعثور فيه على (رقم) في كل الاماكن التي تم فيها التنقيب منذئذ ، كل ذلك ينسجم مع وجود هذه اللوحات الاربع ، ويمكن الدلالة على استخدام المبنى في وظيفة طقسية وادارية . وهكذا يمكن أن يكون معبدا. فاذا كان هذا صحيحا ، فانناكون عندئذ منقبين في قسم الخدمات منه ، ولم نصل بعد الى جناح الطقس .

الصورة رقم ١ – راس وعنق من تمثال امرأة :

ان وجه هذا التمثال يسوده تجويف العينين ، وانف بارز عريض . وعلى الجبهة

نطاق مزين بصف واحد من الثقوب . ويستمر هذا النطاق الى الاسفل خلف الراس حول كتلة شعرها . وتشاهد اذنها اليمنى فقط مع قرط . وعولجت الاذن اليسرى بشكل مماثل . وحول عنقها نطاق غير مزخرف . والراس مثقوب في اعلاه لتعليقه او لوصل قطعة الراس .

الصورة رقم ٢ ـ لوحة تمثل صورة شخص متدثر برداء له صفوف . وان القسم الاسفل من الصورة وحده محفوظ . (الطول ٧ سم العرض ٥ر٤ سم السمك ٩ر١ سم) . وهي في ثلثيها بارزة ، ومبسطة لابراز الصورة . وان هذه الصورة نسائية كما تدل عليها ملابسها التي يظهر منها أربع طبقات . وينسدل ثقلها خلفها ، وتنتهي عند طرف ملابسها . وان هذا الطراز من اللباس محفوظ عادة للآلهة عصرئذ . وان طبقات الرداء مزينة بعدد من الخطوط الافقية . وتبدو الصورة جانبية وبقدمين حافيتين .

الصورة رقم ٣ ـ لوحة بارزة تمثل نسرا يمسك حيوانين لهما قرون (الطول ٤ر٨ سم العرض ٢ر٦ سم السمك ١ سم) . ويبدو ذيل النسر مع جناحيه المنبسطين . راسه جانبي ، منقاره مفتوح ، وبكل من اظافره يمسك حيوانا بقرن . ورؤوس هذه الحيوانات متجهة الى الخلف . ولهذه اللوحة شكل شبه منحرف ومنحنية في الاعلى .

ان هذا العنصر السائد في عصر السلالات الاولى غير مستعمل في عصر بابل القديمة . ففي نماذج عصر السلالات الاولى فان التناسب المتعلق بالطائر وفريسته متساو تقريبا في كل الموضوع وفي نموذج مدينة (ترقا) فان النسر اكثر عرضا .

الصورة رقم ٤ ـ لوحة بارزة تمثل (عشتار تمسك شعار فهد براس مزدوج) الطول ٥ر٧ سم العرض ٥ر٦ سم السمك ٥ر١ سم . والقسم العلوي من اللوحة يمثل عشتار وسهاما من كتفها وكنانات على اعلى الجسم تنتهي عند حزام حول قامتها . وهي متدثرة برداء مفتوح في الجهة الامامية وينحسر عن قسم من ساقها المائلة . وتمسك بيمناها شعارا براسين منحنيين وعنقي حيوانين فمهما مفتوح (يوصفان عادة كفهدين) . راس احدهما مقابل عشتار ، في حين ان الاخر في اتجاه معاكس . ويبدو سهم الشعار مزدوجا بقسم مزخرف من نموذج جذع نخيل .

الصورة رقم ٥ ـ لوحة بارزة تمثل قسما من مشهد طقسي . (الارتفاع ٨ سم العرض ٧ سم السمك ٥ر١ سم) وهي مصبوبة ولها صفان . وان اللوحة المكتشفة في (ترقا) لها نسخة في متحف دمشق (رقمها ٢٢١٥) . وان التفصيل البسيط للاختلاف بينهما متعلق بكيفية الصب . ومنذئذ صنع نموذج هذه اللوحة في قالب . فهناك عدد من نماذج لوحات اخرى منسوخة وهي المكتشفة اضف اليها المحفوظة في المتحف . وان ستة من اللوحات صنعت بنفس القالب قد وجدت في ماري . وان الشيء الوحيد ـ حسب معرفتي ـ هو ان نموذجين من نفس القالب عثر عليهما في مكانين مختلفين : احدهما في (ترقا) ، والاخر في (ماري) .

ففي لوحة (ترقا) ، يتضمن الصف العلوي صورة ارباب جالسين ومتدثرين بملابس ذات طبقات وهم مقابل ربات متدثرات ايضا بملابس ذات طبقات . وتبدو الايدي في (وضع عبادة) ، وفي كل جانب من هذا المشهد المركزي صور اشخاص ملتحين ومتدثرين بملابس ذات طبقات وان الصورة ـ خلف الربة ـ تشاهد على لوحة متحف دمشق ، وتبدو ممسكة شيئا ما بيدها . وفوق هذا المشهد اثنان ، مع بقية ثالث وهي رموز قرص كوكب في هلال . وتعطى اقصى طبيعة التناظر للموضوع يمكن توقعه في القسم العلوي المفقود في الزاوية اليسرى لتكون ـ في الاصل ـ الرمز الرابع .

وهناك ما يفصل اللوحة الى قسمين . وفي منتصف القسم الاسفل يبدو ثوران متقابلين .

وان الثور الآخر يشاهد بوضوح على لوحة متحف دمشق . وفي طرفي القسمين كائنان يمسكان شعارين في اعلاهما قرص الشمس وقرب هذا الكائن في جهة اليمين جذع نخيل بدون قمة ، وربما كانت هناك شجرة مماثلة الى اليسار ولكنها غير محفوظة في كل من اللوحتين . وبالاضافة الى الصور المشاهدة في لوحة متحف دمشق ، فهي تبدو كاملة باستثناء الزاوية العلوية اليسرى .

ان الموضوع الطقسي لهذه اللوحة غير مألوف لعدة امور . فالكائنات بشكل ثور وانسان يمسك شمسا في شعار هلال نادرة في الفن البابلي القديم . ولدينا قليل منها لها وظيفة . ويمكن ان تكون كذلك ايضا حالة لوحة ترقا وماري . وهناك غرابة اخرى هي وضع العلامة الفاصلة بين القسمين الاعلى والادنى من اللوحة ويتجلى التناظر في هذا الموضوع . وان الرب الرئيسي والربة التي تقدم له تكريمها يحيط بهما شخصان . وتحدد جذوع اشجار النخيل الفاصل بين القسمين ، بعضها ممسوح في جهة اليسار ولكن البقايا مرئية . ويدل على قمة اللوحة عنصر افقي من رموز شمس في هلال . واسفل اللوحة ناقص في كل من النموذجين . وان الملامح الدالة عليها متجسدة في الآلهة الرئيسية في الموضوع الذي في أعلاه رمز طبيعة هذا الطقس . وهناك مشاهد طقوس معاصرة في رسوم ماري أيضا لها هذه الملامح . ففي منتصف المشهد الطقسي المكتشف في الباحة رقم ١٠٦ في قصر زمري ليم وجدنا صورا في صفين ، وفي هذه الحالة ، فان الآلهة في الصف الاعلى في المركز . وان العمل الطقسي بدا ايضا من واقع انه في اسفل الصورة يوجد مكان فراغ تحيط به (ربتا مياه) . ففي هذه الحالة فان السطح برز بصور أخشاب حول القسم الاوسط تحيط بها اشجار كبيرة . وفي الوقت الذي ليس فيه لدينا حوض آخر عريض ظاهر للمقارنة في هذا العصر مع رسوم ماري ، فان لوحتنا من (ترقا) ظهرت لتعكس بعض مظاهر الفكرة ولاسيما افضلية مواضيع التناظر وعمق الاعمال الطقسية .

< ✿ >